العناصر المعمارية الزخرفية الإسلامية المتبادلة بين آثار العراق ومصر فى العصور الوسطى

د / جمال عبد الرحيم إبراهيم•

احتلت العناصر المعمارية وزخرفة البناء عبر العصور الإسلامية المتلاحقة مكانة مرموقة عند الأمم وبشكل خاص فى كل من مصر والعراق ، اللتين كانتا بلا أدنى ريب رواداً فى هذا الفن ، حيث وصلتنا أبنية من هذين القطرين تعج بهذه العناصر ، يرجع الكثير منها إلى فترة العصور الوسطى .

وعلى الرغم من أن مصطلح العصور الوسطى عند المؤرخين ، هو مصطلح تاريخى تقريبى يبدأ من سقوط روما عاصمة الدولة البيزنطية فى أيدى الهمج فى منتصف القرن الخامس الميلادى (سنة ٤٧٦م) ، إلى سقوط القسطنطينية فى أيدى الأتراك العثمانيين فى منتصف القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى (سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م)[١] ؛ فإن هذه الدراسة سوف تلقى الضوء على أهمية العناصر المعمارية الزخرفية فى عمائر العراق منذ فترة حكم السلاجقة الذين سيطروا على أجزاء كثيرة من البلاد فى ظل وجود حكم عباس ، حيث استنجد الخليفة العباسى القائم بأمر الله بهؤلاء السلاجقة بعد أن ساءت حالة العراق فى أواخر العهد البويهى ، ودخلوا بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[٢] . وقد عرفت هذه الفترة التاريخية فى تاريخ العراق بالعهد الرابع العباسى ، والذى شهدت البلاد خلال هذا الحكم نهضة عمرانية واسعة . حيث كان هؤلاء السلاجقة يحكمون باسم الخلفاء العباسيين وكانوا يعزلون الخليفة أو يقتلونه ويقيمون غيره مكانه[٣] .

وفى سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م سيطر الأتابكة على أجزاء كبيرة من البلاد ، وذلك منذ أيام عماد الدين زنكى فى الموصل ، والذى قام بإصلاحات كثيرة ، وتبعه ابنه سيف

• د. جمال عبد الرحيم إبراهيم ـ كلية الآثار ـ جامعة القاهرة.

(١) الرافعى (عبد الرحمن) ، عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، مصر فى العصور الوسطى منذ الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ١١ .

(٢) ابن الطقطقى (محمد بن على بن طباطبا ت سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ، الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، القاهرة ، مطبعة صبيح وأولاده ، ص ٢٣٦ .
- رايس (تامارا تالبوت) ، السلاجقة ، تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفى الخورى وابراهيم الداقوقى ، مراجعة عبد الحميد العلوجى ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ١٨ .

(٣) حسنين (عبد النعيم محمد) ، سلاجقة إيران والعراق ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٤٤

الدين الذى اهتم بتقوية الجيش ، ثم تولى بعد ذلك حكام من الأتابكة بينهم من كان سيئ السيرة ، ومنهم من قام بأعمال مجيدة فى الإصلاح والتعمير[٤] .

أما فى بغداد فقد ضاق الخلفاء العباسيون ذرعاً من قوة السلاجقة واستبدادهم بالحكم ، فلم يكن للخلفاء حينذاك سوى الأسم ، فاستنجد الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥هـ/١١٨٠) ، والذى تميز عصره بالنهضة الفنية والمعمارية ، بالفاتح المغولى جنكيزخان ، حتى سيطر حفيده هولاكو على بغداد فى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م فى زمن الخليفة المستعصم بالله فدمرها ، وانتهى بذلك عصر الخلفاء العباسيين فى العراق ، وإقامة عصر الدولة الإيلخانية[٥] .

وقد استطاع هولاكو فى فترة وجيزة أن يؤسس دولة ضمت بالإضافة إلى العراق ، أقاليم تابعة لبلاد إيران وأرمينيا وأذربيجان ، خلفه فيها سلاطين اعتنق بعضهم الدين الإسلامى ، وقاموا ببعض الإصلاحات والأعمال المعمارية والزخرفية والفنية . ثم بدأ عدم الاستقرار السياسى يسود فى أواصل هذا الحكم فى العراق ، بسبب انتشار الفتن والمنازعات بين الولاه والأمراء ، واستمر الحال هكذا إلى أن قضى الشيخ حسن الجلايرى الكبير على آخر الأمراء الإيلخانيين وأسس فى سنة ٧٤٠هـ/١٣٤٠م الدولة الجلائرية فى العراق وذلك بعد ما يقرب من ثمانين عاماً لحكم الإيلخانيين فى البلاد[٦] .

ومن المعروف أن تعرض بغداد وبعض المدن العراقية للغارات المتكررة من قبل المغول ، قد أدى إلى احتراق وتخريب كثير من الأبنية الأثرية والتاريخية ، ولكن الروايات التاريخية والمصادر بالغت كثيراً فى حوادث سقوط هذه المدن ولا سيما العاصمة بغداد أثناء استيلاء المغول عليها لوجود أسواق وقصور ودور مهمة[٧] ، مما يؤكد بقاء الكثير من الأبنية الأثرية والتاريخية بعد غارات المغول على بغداد ، إضافة إلى ذلك أن الحياة بدأت تدب فى المدينة وبعد فترة قصيرة من سقوطها ، فجددت بعض لمبانى وأقيمت مبانى أخرى جديدة ما يزال بعضها قائماً إلى الآن ، تتميز زخرفتها وعناصرها المعمارية بجمالها ومميزاتها الفنية ودقة تنفيذها ، كما سيأتى الحديث عنها .

---

(٤) بصمة جى (فرج) ، كنوز المتحف العراقى ، بغداد ١٩٧٢ ، ص ٧٨ .

(٥) خصباك (جعفر حسين) ، العراق فى عهد المغول الإيلخانيين ، بغداد الطبعة الأولى ١٩٦٨ ، ص ٩ .

- القزاز (محمد صالح داود) ، الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية ، النجف ١٩٧٠ ، ص٢.

(٦) ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ) ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٦م جـ١٠ ص ٣٢٣ .

(٧) رشيد الدين (فضل الله الهمدانى) ، جامع التواريخ ، نقله إلى العربية محمد صادق نشأت ، محمد موسى هنداوى، فؤاد عبد المعطى الصياد . مراجعة يحيى الخشاب ، القاهرة . دار إحياء الكتب العربية جـ٢ قسم ١ ص ٢٩٣ .

وعلى الرغم من استقرار أوضاع البلاد فى خلال حكم الشيخ حسن الجلائرى ، وخليفته إبنه السلطان معز الدين أويس ، والذى شهد عهده نهضة معمارية وفنية بسبب استقرار الوضع السياسى ، إلا أن الفتن والصراعات انتشرت بين الأولاد والأحفاد إلى أن قدم تيمورلنك من بلاد تركستان وفتح بغداد سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م للمرة الأولى ، ثم للمرة الثانية ٨٠٤هـ/١٤٠١م ، حيث قتل الكثير من أهلها وأحرقت وخربت أشهر مبانيها . وعندما توفى تيمورلنك فى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م عاد السلطان أحمد حفيد حسن الجلائرى إلى بغداد وبقى حاكماً فيها مدة خمسة أعوام ، واستمرت المنازعات على حكم العراق بعد ذلك من قبل التركمانيين إلى أن سقطت بغداد فى أيديهم سنة ٨١٣هـ/١٤١٢م[٨] .

وعلى الرغم من أن الكثير من أبنية هذا العصر قد أندثرت غالبيتها ، ولم يبق إلا أسماء لبعضها أو إشارات قليلة عنها ذكرها المؤرخون والرحالة فى كتبهم ، إلا أن ما تبقى من أبنية يشهد على عظمة هذا العصر وثرائه المعمارى والزخرفى كما هو واضح فى المدرسة المرجانية وخان مرجان كما سيأتى الحديث بعد[٩] .

أما فى مصر فمنذ سيطرة الأتابكة على أجزاء كبيرة من الأراضى العراقية سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م ، كانت الأراضى المصرية تنعم بالسيطرة الفاطمية ، وبصفة خاصة فى عهد الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥ – ٥٢٤هـ / ١١٠١ – ١١٣٠م)[١٠] . تلك الفترة التى عرفت فى المصادر والمراجع التاريخية بفترة نفوذ الوزراء العظام الذين سيطروا على مقاليد الحكم فى الدولة الفاطمية[١١] ، وحتى نهايتها فى سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م[١٢] .

وكانت علاقة الفاطميين بالعراق فى هذه الفترة يسودها التوتر والحظر ، فبعد أن ساد الهدوء نسبياً من حيث المذهب فقط بين الفاطميين وبنى بويه (الشيعة) والذين فرضوا وصايتهم على الخلافة العباسية فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، سرعان ما اشتد الصراع بين الفاطميين والعراق ، حيث سيطر

---

(٨) ابن العماد (أبو الفلاج عبد الحى) ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥٠هـ جـ٧ ص ١٠١ .
- زامباور ، معجم الأيساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، ترجمة زكى محمد حسن ، القاهرة ١٩٥٢ ص ٣٧٧ .

(٩) Al-Jamab, (Tariq jawad), Studies Mediaval Iraqi Architecture, Baghdad 1982, pp. 111-146.

(١٠) زامباور ، معجم الأنساب والأمراء ص ١٤٥ – ١٥٠ .
- عبد الرازق (أحمد) ، تاريخ مصر وآثارها الإسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٩٣ ص ١٩٣ .

(١١) المناوى (محمد حمدى) ، الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٣٧ .

(١٢) ماجد (عبد المنعم) ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، التاريخ السياسى ، الاسكندرية ١٩٦٨م ص٧٢ .

السلاجقة على الأخيرة وكانوا سنيين متعصبين لمذهبهم ، فقاوموا المذهب الشيعى وتعقبوا دعاته فى الشرق الأدنى ، وعملوا على تقويض النفوذ الفاطمى[١٣] . وقد شهدت مصر فى عصر الدولة الفاطمية نهضة كبيرة لا سيما فى مجال العمارة والفنون المعمارية والزخرفية ، أشاد بها الرحالة الذين زاروا مصر وسجلوا خواطرهم عن هذه الفنون[١٤] .

وبانقضاء الدولة الفاطمية عن حكم مصر ، على يد الأيوبيين (٥٦٧ – ٦٤٨هـ/١١٧١ – ١٢٥٠م)، كان الحكم السائد فى بلاد العراق هو الأتابكى أيضاً ، وكان الخلاف قد اشتد بين أفراد البيت الأتابكى بعد وفاة عماد الدين زنكى ، وكان صلاح الدين يرى أن هذا الخلاف قد يكون مصدر تعب وخطر على دولته ، وأنه لا يستطيع أن يبدأ جهاده ضد الصليبيين إلا إذا أمن هذا الخطر[١٥] . فاتجه صلاح الدين إلى الموصل وحاصرها سنتى ٥٨١ و ٥٨٢هـ / ١١٨٥ -١١٨٦م ، وأنهى حصارها عندما طلب عز الدين مسعود الصلح معه والاعتراف بتبعيته لصلاح الدين الأيوبى ، وأن يخطب له على منابر بلاده ، وأن يضرب اسمه على السكة ، وأن ينزل له عن كل ما وراء نهر الزاب من بلاد الجزيرة ، وهكذا تحقق على يدى صلاح الدين ذلك الحلم الذى كان يعمل على تحقيقه من قبل عماد الدين زنكى ، وهو توحيد البلدان الإسلامية فى جبهة واحدة تحت قيادة واحدة[١٦] .

ونظراً إلى هذه العلاقات المتبادلة بين الأيوبيين فى مصر والأتابكة فى العراق ، فقد استطاع الأيوبيين فى مصر أن يكونوا فى عهدهم طرازا معماريا بعناصره الزخرفية الفنية له سماته الخاصة ، فى الوقت نفسه له صلة وثيقة بالطراز الفنى الأتابكى فى كل من العراق والشام ، ويتضح ذلك فى المنشآت التى خلفها الأيوبيون فى مصر ، ومن أهم هذه العناصر استخدام الأجر فى بناء الأقبية ، واستخدام العقود المدببة ، والعقود الفارسية المنكسرة ، وكثرة استخدام المقرنصات كحليات معمارية وزخرفية ، وزخرفة التوريق (الأرابيسك) التى صارت أجمل تطورا فى هذه الفترة ، بالإضافة إلى الزخارف الكتابية خاصة الخط النسخ والخط الثلث[١٧] .

---

(١٣) عاشور ، مصر فى العصور الوسطى ، ص ٢٣٦ .
(١٤) سرور (محمد جمال الدين) ، الدولة الفاطمية فى مصر ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٢٠٥ .
(١٥) الشيال (جمال الدين) ، تاريخ مصر الإسلامية ، جـ٢ القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٥٦ .
(١٦) ابن واصل (جال الدين محمد بن سالم) ، مفرج الكرب فى أخبار بنى أيوب ، القاهرة ١٩٥٧ ، جـ٢ ، ص ١٤٢ .
(١٧) الباشا (حسن) ، موسوعة العمارة والفنون الإسلامية ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص ٣١٦ .

أمـا خـلال وجـود العهـد المغـولى والألخـانى (٦٥٦ – ٧٣٦هـ / ١٢٥٨ – ١٣٣٥م) ، فكان السائد فى مصر حكم دولة المماليك البحرية (٦٤٨ – ٧٨٤هـ / ١٢٥٠ – ١٣٨٢م)[١٨] . وكانت العلاقة بين المماليك والمغول ، خاصة منذ نشأة الأولى تتسم بالعداء والحروب تارة ، والتحالف والصداقة تارة أخرى[١٩] . وأن أهم الأحداث التاريخية التى شهدتها العراق فى هذه الحقبة ، هى إحياء الخلافة العباسية فى بغداد على يد السلطان الظاهر بيبرس ، وذلك بوصول أحد أبناء البيت العباسى إلى مصر وهو أحمد بن الظاهر بن العباسى ، والذى استقبل بالحفاوة والإكرام ، وبويع بالخلافة ولقب بالخليفة المستنصر بالله[٢٠] . ثم سرعان ما قتل هذا الخليفة على يد المغول قرب هيت ، فأقر السلطان بيبرس باستدعاء أمير جديد من بنى العباس ، وهو الأمير أبو العباس أحمد وقلد هذا منصب الخلافة وسكن فى أحد أبراج القلعة ، وبهذا نجح السلطان بيبرس فى نقل قصر حكم الخليفة من بغداد إلى القاهرة[٢١] .

والواقع أن العداء بين المماليك والمغول استمر كثيرا منذ فترة هولاكو وخليفته أباقا ، إلا أن هدأت هذه الصراعات أيام الأخير بسبب حالة الإجهاد والمشاكل الداخلية ، مما جعله يفكر فى طلب الصلح من بيبرس ، ولكن الأخير رفض ذلك[٢٢] . وهكذا فقد حظيت مصر بمأمن من الخطر المغولى ، وانعكس ذلك على تقدمها ورخائها الاقتصادى ، والازدهار الفنى ولا سيما فى مجال العمارة وما تزدان به هذه العمائر من ثراء زخرفى من خلال عناصرها المعمارية والزخرفية .

وبوجود العصر الجلائرى فى العراق (٧٣٨ – ٨١٣هـ / ١٣٣٧ – ١٤١٠م) ، كانت مصر تنعم بظل دولة المماليك البحرية خاصة أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى سلطنته الثالثة (٧٠٩هـ / ١٣١٠م) ، وحتى السلطان الناصر فرج بن برقوق (٨٠١ – ٨١٥هـ / ١٣٩٩ – ١٤١٢م)[٢٣] .

---

(١٨) الملطى (عبد الباسط بن خليل بن شاهين) ، نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ٦٥ – ١١١ .

(١٩) الشيال ، تاريخ مصر الإسلامية ، ص ١٨٥ .

- عبد الدايم (عبد العزيز) ، مصر فى عصر المماليك والعثمانيين ، القاهرة ١٩٩٦م ، ص ٦٦ .

(٢٠) المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد ت ٨٤٥هـ) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٣٤م ، جـ١ ، ص ٤٥٦ .

- Spuler, (B.), The Muslim World, the Mogol Period, Leiden 1960, Part II p. 103

(٢١) السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محى عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٢م ص ٣١٨ .

(٢٢) شبولر (برتولد) ، العالم الإسلامى فى العصر المغولى ، نقله إلى العربية خالد أسعد عيسى ، راجعه سهيل زكار دمشق ١٩٨٢م ، ص ٦١ .

(٢٣) الملطى ، نزهة السلاطين ، ص ١٢٠ .

وكان للاستقرار والرخاء الذى نعمت به مصر فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ولسياسته الحازمة أثر كبير فى رفع مكانة مصر فى العالم الخارجى خاصة العراق ، وتحسين علاقاتها مع الإلخانيين ، وساعد على هذا أن كل من الناصر محمد والألخانى أبو سعيد ٧١٦ – ٧٣٦هـ / ١٣١٦ – ١٣٣٥م ، قد تبادلوا تسليم الأمراء الفارين من وإلى البلدين[٢٤] . بالإضافة إلى المساعدات الحربية من قبل الناصر محمد إلى حسن الجلائرى (٧٣٨ – ٧٥٧هـ / ١٣٣٧ – ١٣٥٦م)[٢٥] .

وكما حدث من قبل فى ظل الوجود المغولى فى العراق ، وعدم تعرض وادى النيل لهذا الخطر المغولى ، حدث أيضاً فى ظل الوجود المغولى التيمورى ، فقد ظلت مصر هى البلد الوحيد فى الشرق التى بقيت صامدة لم تمس من هذين الطوفنين . وكان الفضل فى نجاة مصر ليس لقوة المماليك العسكرية بل لخضوع هؤلاء المماليك إسمياً لتيمور[٢٦] . وعلى الرغم من ذلك فقد اتسم العصر المملوكى الجركسى المواكب لغزو تيمور لبلاد العراق ، بالقوة والاستقرار خاصة فى أيام حكم السلطان برقوق أول سلاطين الجراكسة فى مصر ، الذى آوى فى بلاطه الأمير أحمد ألد خصوم تيمور وهو من الأسرة الجلائرية ، ولم يتسن لتيمورلنك أن يعلن الحرب على مصر مع أنه قام بنهب حلب ودمشق ، وقد اختار الناصر فرج بن برقوق أن يخضع للفاتح العظيم – تيمورلنك –وظل تابعاً له إسمياً حتى موته سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م[٢٧] .

وقد غدت مصر فى عصر دولتى المماليك البحرية والجركسية كعروس مزينة بأجمل وأروع المبانى والعمائر ، وغدت درة الشرق وملتقى متاجره وعلومه وفنونه ، وازدهرت الفنون البنائية وكثرت حركة البناء والعمران وأنشأ السلاطين والأمراء الأبنية العظيمة من مساجد ومدارس وقباب ، وخانقاوات ، وأسبلة ، وقصور ، وبيمارستانات ووكالات وغيرها[٢٨] .

وقد نمت بين العراق ومصر سمات معمارية وزخرفية على مر هذه الفترات الغابرة ، كان من أول هذه السمات تلك التأثيرات التى انتقلت إلى مصر من طراز مدينة سامراء العراقية ، والتى أسهب الكثير من علماء الآثار والفنون الزخرفية فى الحديث

---

(٢٤) الشيال ، تاريخ مصر الإسلامية ، ص ٢٧٨ .
(٢٥) Al-Jamab, Studies in Mediaeval Iraqi, p. 58.
(٢٦) شبولر ، العالم الإسلامى فى العصر المغولى ، ص ١٣٩ .
(٢٧) المقريزى ، السلوك جـ٣ ، ص ٢٧ .
(٢٨) نجيب (محمد مصطفى) ، العمارة فى عصر المماليك ، القاهرة تاريخها فنونها آثارها ، تأليف حسن الباشا وآخرون ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٢٣٤ – ٢٥٢ .

فيها[٢٩] ، وليس هناك متسع للحديث عن هذه التأثيرات ، لأنها خارج نطاق هذه الدراسة . التى ستتناول السمات المعمارية والزخرفية بين العراق ومصر منذ فترة حكم السلاجقة ، كما سبق أن أوضحت ، وعلى الرغم من هذا ؛ فسوف تلقى هذه الدراسة الضوء على بعض من هذه السمات التى ترجع إلى عهد ما قبل السلاجقة ولم تنل حظا من الدراسة والتوضيح مثلما نالته تأثيرات طرز مدينة سامراء فى مصر .

ومن هذه السمات المعمارية زخرفة دخلة محراب جامع المنصور ١٤٩هـ / ٧٦٧م وهو من الرخام الأبيض المائل إلى الاصفرار قليلا اشتهرت تسميته بمحراب جامع الخاصكى (لوحة ١)[٣٠] . والمظهر العام لزخرفة هذا المحراب تتمثل فى دخلته المعقودة التى يخرج من باطنها وحدات مشعة ، ترتكز على عمودين ، لكل عمود بدن مضلع بتضليع مائل ، وقاعدة العمود متدرجة مربعة . وهذا الشكل المجوف المحارى المشع يوجد فى حنيتين صغيرتين بقيتا من دير الأب هرميا فى سقارة ، والذى ينسب إلى القرن السادس الميلادى على غير أساس تاريخى أو معمارى أو زخرفى ، لأن تفاصيل الحنتين وزخارفهما تسمح بامتداد تأريخهما إلى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى أو حتى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، أى يمكن نسبتهما إلى العصر الأموى وحتى أوائل العباسى قبل أن يأتى أحمد بن طولون إلى مصر ، وما صحب وجوده من تأثيرات مدينة سامراء فى مصر[٣١] .

---

(٢٩) شافعى (فريد) ، زخارف وطرز سامراء ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة المجلد ١٣ الجزء الثانى ١٩٥١ .

- حميد (عبد العزيز) ، الزخارف المعمارية ، حضارة العراق ، جـ٩ ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ٣٨٩ .

- Herzfelf (E,), Der Wandsch muck Der Bauten von Samarra und Seine Ornamentik. Berlin 1923.

(٣٠) يعد هذا المحراب من أجمل التحف المبكرة التى كانت مثل غيره من التحف الأخرى المعروضة في القاعة الإسلامية بالمتحف الوطنى العراقى في بغداد ، ولا أدرى هل مازال هذا المحراب موجوداً الآن بالمتحف أو نهب كغيره من آلاف التحف الأخرى أثناء الاعتداء الأمريكى والانجليزى على بغداد عام ٢٠٠٣م .
ولقد دارت حول هذا المحراب مناقشات عديدة بين كثير من علماء الآثار العرب والأجانب ، هل هو عراقى الأصل ، أو مجلوب من بلاد الشام بسبب مادته الخام وزخارفه .
= - انظر ، شافعى (فريد) ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، عصر الولاة ، المجلد الأول القاهرة ١٩٧٠ ص ٦١٨ .

- Creswell (K.A.C.), Early Muslim Architecture, Vol. II Oxford, 1940, pp. 35-38.

(٣١) شافعى ، العمارة العربية ، ص ٦١٧ .

وفى مصر ظهر هذا الشكل فى البداية وبشكل بسيط على هيئة مروحية فى الجدار الجنوبى الشرقى لجامع عمرو بن العاص[٣٢] ٢١٢هـ / ٩٨٣م ، وفى بعض طاقان الواجهات الخارجية لجامع أحمد بن طولون ٢٦٣هـ / ٨٧٦م .

وفى العصر الفاطمى ظهرت بوضوح تام ولأول مرة فى الحجر على الواجهة الرئيسية لجامع الأقمر ٥١٩هـ / ١١٢٥م بشارع المعز[٣٣] ، وقد يعتقد بأن ظهورها بعمائر مدينة القاهرة لأول مرة ، يرجع إلى التأثيرات السورية أو الأرمينية[٣٤] .

كما أن هذه السمة ازدادت انتشارا بعد ذلك منذ العصر الأيوبى وحتى العصر المملوكى ومن أمثلة ذلك طاقية محراب جامع قلعة الجندى بسيناء (لوحة ١٦) والتى ترجع إلى أيام صلاح الدين ٥٩٠هـ / ١١٩٣م . والواجهة الرئيسية للمدارس الصالحية ٦٤١هـ / ١٢٦٦م بشارع المعز ، وواجهة مدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م بشارع المعز وعلى جانبى مدخل خانقاة بيبرس الجاشنكير ٧٠٦هـ / ١٣٠٦ بشارع الجمالية . أما عن زخرفة العمودين المندمجين بالشكل الحلزونى أو التضليع المائل ، فتوجد هذه الظاهرة وبشكل أكبر وأتقن فنياً ومعمارياً وزخرفياً فى بعض العمائر المملوكية بمصر ، مثل العمود المندمج بالركن الشمالى لمدرسة السلطان حسن ٧٥٧ – ٧٦٤هـ / ١٣٥٦ – ١٣٦٣م بميدان القلعة ، وفى الأعمدة المندمجة بالواجهة الجنوبية الشرقية لجامع السلطان المؤيد شيخ ٨٢٤هـ / ١٤١٢م بشارع المعز بالقرب من باب زويلة . والجدير بالذكر أن هذه السمة قد وجدت فى عمائر آسيا الوسطى خاصة قصر آقا سراى بمدينة شهر سابز أو المدينة الخضراء كما يطلق عليها والذى يرجع إلى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى[٣٥] .

ومن السمات المعمارية والزخرفية زخرفة واجهة باب بغداد ، أحد مداخل مدينة الرافقة التى بناها المنصور على طراز بغداد[٣٦] ، بجانب مدينة الرقة القديمة ١٥٥هـ / ٧٧٢م (لوحة ٢) ، وزخارف هذا الباب تقوم على اختلاف أوضاع الآجر ، حيث استطاع البناء تكوين دخلات مستطيلة طولا معقودة بعقود منكسرة أو فارسية

---

(٣٢) شافعى ، العمارة العربية ، ص ٣٦٨ ، شكل ٢١٣ .

(٣٣) فكرى (أحمد)، مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الأول ، العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٦٥م، لوحة ٤٣ ، ٤٤ .

(٣٤) -Hoag (J.O.) Western Islamic Architecture London, 1963, p. 32.

(٣٥) - Grabar (Oleg), Islamic Architecture and its decoration A.D. 800-1500. London 1967, p. 54.

(٣٦) معروف (ناجى) ، تخطيط بغداد ، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٢٧ .

يحملها أعمدة مندمجة ملتصقة تعرف بالحجور الصماء أو المبهمة[٣٧] ، وهى من العناصر المعمارية العربية الإسلامية التى تظهر على هذا الباب لأول مرة ، ثم استخدمت فيما بعد هذه الأعمدة الملتصقة للأكتاف البنائية (الدعامات) التى تحمل عقودا البائكات فى جامع أحمد بن طولون ٢٦٣هـ / ٨٧٦م ، أما ظاهرة دخلات العقود المنكسرة الصماء فوجدت أعلى واجهة البائكة التى تحيط صحن جامع الأقمر ٥١٩هـ / ١١٢٥م بشارع المعز ، وبائكة الخليفة الحافظ ٥٢٤هـ / ١١٣٠م بالجامع الأزهر ، والبائكة التى تحيط بصحن جامع الصالح طلائع ٥٥٥هـ / ١١٦٠م خارج باب زويلة .

وفى العصر الأيوبى ظهرت هذه السمة فى زخرفة الواجهات الخارجية لضريح الإمام الشافعى ٦٠٨هـ / ١٢١١م ، وفى الواجهات الخارجية أيضاً لضريح الخلفاء العباسيين ٦٤٠هـ / ١٢٤٣م خلف مشهد السيدة نفسية ، ومن عمائر المماليك البحرية وجدت فى زخارف مداخل جامع الأزهر بيبرس ٦٦٧هـ / ١٢٦٩م بحى الظاهر ، وعلى مئذنة مدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م بشارع المعز ، وبصحن خانقاة بيبرس الجاشنكير ٧٠٦هـ / ١٣٠٧م بالجمالية ، وفى الواجهات الداخلية على صحن جامع الطنبغا المارداني ٧٤٠هـ / ١٣٤٠م ، ومن عمائر العصر الجركسى على الواجهة الداخلية لرواق القبلة بجامع المؤيد شيخ ٨٢٤هـ / ١٤٢١م ، وفى الواجهات الخارجية للبيمارستان المؤيدى ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م بسكة الكومى بالمحجر ، والواجهات الداخلية على صحن مدرسة الأميرقانى باى الرماح ٩٠٨هـ / ١٥٠٣م بالقلعة .

ومن السمات المعمارية والزخرفية المتبادلة بين العراق ومصر زخرفة محراب من الجص بمتحف بغداد[٣٨] وجد فى أحد القصور بشارع مدق الطبول فى سامراء ق ٣هـ/٩م (لوحة ٣)[٣٩] . ويعد هذا المحراب من النماذج المميزة للمحاريب المجوفة التى تأخذ شكل الأضلاع المتعامدة فى مساقطها ، أى أن تجاويفها قائمة الزوايا ، وهى سمة انتشرت فى محاريب شرق العالم الإسلامى ولا سيما فى العراق وبلاد فارس ، والتى استمرت طوال العصر العباسى الأول[٤٠] . ومهما يكن من أمر ، فإن هذا المحراب المجوف يتوجه عقد مدبب ذو مركزين ، يرتكز على عمودين مندمجين ، لهما بدنيين مضلعين بتضليع مائل ولكل منهما قاعدة وتاج على شكل

(٣٧) دللى (ولفرد جوزف) ، العمارة العربية بمصر ، تعريب محمود أحمد ، المطبعة الأميرية ١٩٢٣ ، ص ٥ .
- غالب (عبد الرحيم) ، موسوعة العمارة الإسلامية ، بيروت ١٩٨٨ ، ص ٢٨٥ .
(٣٨) انظر حاشية (٣٠) .
(٣٩) - Creswell, Early Muslim Architecture, p. 238, Fig. 191.
(٤٠) شافعى ، العمارة العربية ، ص ٦١٤ .

كأسى أو ناقوسى ، وهو الشكل الذى صار النموذج السائد لتيجان وقواعد الأعمدة فى العصر الإسلامى فى أقطار المشرق ، وبالجوسق الخاقانى ، أى قصر الخليفة المعتصم فى سامراء الذى شيد فى عام ٢٢١هـ / ٨٣٦م ، يوجد أقدم الأمثلة لتاج العمود وقاعدته الكأسية أو الناقوسية ، وفى مصر فتوجد هذه السمة لأول مرة فى شاهد قبر من الرخام مؤرخ بسنة ٢٤٥هـ / ٨٦٠م[٤١] ، ثم يأتى بعده مباشرة قواعد وتيجان الأعمدة فى نواصى الدخلات الغائرة فى جوانب جدران مقياس النيل ٢٤٧هـ / ٨٦٢م بالروضة ، ثم تيجان وقواعد أعمدة النواصى فى جامع أحمد بن طولون ٢٦٥هـ / ٨٧٩م ، ثم أصبح ذلك الشكل الناقوسى أو الكأسى علماً من أعلام العناصر المعمارية والزخرفية فى عمائر القاهرة الإسلامية . أما ظاهرة الزخرفة بالتضليع المائل ، فقد سبق الحديث عنها أثناء وصف السمات المعمارية والزخرفية لدخلة محراب جامع المنصور ١٤٩هـ / ٧٦٧م .

ومن السمات المتبادلة أيضاً والتى ترجع إلى الفترة الأتابكية فى العراق ، محراب من الرخام مزدوج التركيب نقل من الجامع النورى فى الموصل إلى متحف بغداد ويرجع إلى سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م (لوحة ٤) .

ويعد هذا المحراب من أجمل المحاريب الرخامية العراقية المنحوتة ، ويتكون من (٥٢) قطعة من المرمر الأزرق[٤٢] ، ويصل ارتفاع هذا المحراب ثلاثة أمتار ونصف المتر ، وعرضه حوالى مترين ونصف .

والجدير بالذكر أن صناعة المحاريب العراقية بمادة الرخام كان أكثر فى القسم الشمالى من العراق خاصة الموصل ، عن غيرها من المناطق الأخرى خاصة القسم الجنوبى من العراق ، والسبب فى ذلك يرجع إلى كثرة وجود الرخام وخاصة فى لواء الموصل ، وقد يكون مائلا إلى الزرقة ، ويسمى بالمرمر ، وسهل القلع ، ومطاوع للعمل ، وهذا ما جعل السكان يفضلونه على الآجر والجص ، حتى أن الرخام صار مادة رئيسية فى أبنيتهم[٤٣] .

ويعرف هذا المحراب بالمحراب الصيفى ، وهو عبارة عن تجويف نصف دائرى يتوجه مستويان من العقود المدببة ، بواجهتيها الخارجيتان زخارف زجزاجية (دالية) ، ويرتكز العقد العلوى – الأكبر – على عمودين مندمجين من الرخام أيضاً لكل منهما تاج وقاعدة ناقوسى الطراز ، بينما شغل كوشتى العقد وباطن المحراب

(٤١) شافعى ، العمارة العربية ، ص ٤١١ .
(٤٢) -Al-Janab, Studies in Mediaeval Iraqi, p. 212, pl. 160.
(٤٣) الديوه جى (سعيد) ، الزخارف الرخامية فى الموصل ، المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية ، تونس ١٨-٢٩ مايو ١٩٦٣م ، ص ٤٦٩ .

وكذلك الوحدات الجانبية التى تشكل دخلات مستطيلة بعقود ثلاثية ، شغلت جميعا بزخارف لأفرع نباتية ملتوية ومتشابكة ، فى غاية الكمال والتناسق ، تخرج منها أنصاف مراوح نخيلية وزهور وأوراق صغيرة (أرابيسك) . وما يميز هذه الزخارف النباتية فى هذا المحراب أنها قد نفذت بمستويات متباينة بالحفر البارز . كما يقطعها فى بدن المحراب شريطان ضيقان عليهما زخارف كتابية قرآنية بالخط النسخى ، يضم الشريط الأول "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط" ويضم الشريط الثانى "لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام"(٤٤) .

وفى مصر فقد تشابهت العناصر الزخرفية النباتية ، والكتابية بين المحراب السابق وبعض المحاريب ، ولكنها اختلفت معه من حيث مادة البناء ، حيث أن غالبية المحاريب المصرية نفذت بمادة الجص وكانت تحفر حفراً مباشراً وبمستويات متباينة فى أسلوب الحفر أيضاً ، والبعض الآخر كانت تنفذ بمادة الحجر ، وبعضها كانت تزخرف بتكسيات رخامية ملونة ، وانتشرت الأخيرة انتشاراً واسعاً فى العصر المملوكى(٤٥) .

ومن أهم محاريب مصر القريبة الشبه بمحراب جامع نور الدين محمود ، المحراب الرئيسى للجامع الأزهر ٣٥٩هـ / ٩٧٠م ، خاصة باطن طاقية المحراب ، وكوشتيه وترجع إلى أعمال التجديدات التى قام بها الأمير أيدمر الحلى بتكليف من السلطان الظاهر بيبرس فى سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م(٤٦) . ومحراب قبة إيدكين البندقدارى ٦٨٣هـ /١٢٨٤م بشارع السيوفية ، وطاقية وتوشيحة محراب قبة الأمير حسام الدين طرنطاى ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م بدرب سعادة ، وطاقية وتوشيحة محراب مدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م بشارع المعز ، وطاقية محراب خانقاة أم أنوك ٧٤١ – ٧٤٦هـ / ١٣٤٠ – ١٣٤٥م بالقرافة الشرقية .

- ومن السمات المتبادلة بين العراق ومصر والتى ترجع أيضاً إلى الفترة الأتابكية بالعراق محراب من الجص لجامع مجاهد الدين قيماز فى الموصل ٥٧٢هـ / ١١٧٦م (لوحة ٥) . وقد أمر بتشييد هذا المسجد مجاهد الدين قيماز مدبر الدولة الزنكية سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م ، وأتمه عام ٥٧٦هـ / ١١٨٠م ، ويقع شمال مدينة

(٤٤) قرآن كريم ، سورة آل عمران آية ١٨ ، ١٩ .
(٤٥) رمضان (حسين مصطفى) ، المحاريب الرخامية فى قاهرة المماليك البحرية ، مخطوط رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٨٢م .
- عبد الرازق (أحمد) ، الفنون الإسلامية فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، كلية الآداب جامعة عين شمس ٢٠٠٣م ، ص ٦٥
(٤٦) عبد الرازق (أحمد) ، تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٣م ، ص ٢٢٥ .

الموصل على نهر دجلة من الجهة الغربية ، ويعرف بين الناس بجامع الخضر والجامع الأحمر[٤٧] .

ويعد هذا المحراب من أجمل وأكبر المحاريب المزخرفة بالجص والتى وصلتنا ليس من العراق فحسب بل من العالم الإسلامى كله ، حيث يبلغ ارتفاعه ٦,٦٠ متراً وعمقه ٣,١٠ متراً وعرضه ٣,٥٠ متراً[٤٨] .

وللمحراب حنيتان متداخلتان لكل منهما عقد مدبب ، الدخلة الأولى وهى الصغيرة السفلية ترجع إلى عصر متأخر ، ربما ترجع إلى الفترة العثمانية[٤٩] . فى حين غشيت الدخلة الكبرى العلوية بزخارف نباتية جصية رائعة ، وتعد هذه الدخلة بمثابة العنصر الرئيسى لدخلة المحراب كله ، حيث أن زخارفها قديمة وترجع إلى زمن تشييد الجامع . وتعتبر زخارف هذه الدخلة بحق بأنها تمثل أعلى ما وصلت إليه الزخارف الجصية العراقية من تطور وإبداع ، وذلك من حيث الدقة المتناهية والتناسق والتأليف الزخرفى ، وقوام هذه الزخرفة عبارة عن أفرع ملتوية (أرابيسك) يخرج منها مراوح نخيلية وأنصافها ، وأوراق من فص وفصين وثلاثية الفصوص ، ويتوسط هذا التشكيل الزخرفى ورقة نباتية كبيرة الحجم تعرف بزخرفة الزنبق أو الزئبق ، ويحيط بدخلة المحراب شريط زخرفى ضيق به زخارف نباتية مسننة متكررة يليه من الخارج شريط ضيق آخر أكثر اتساعاً من الأول يضم ورقة نباتية ثلاثية دقيقة .

وإذا كانت بلاد العراق بصفة عامة والموصل بصفة خاصة تفتخر بوجود هذا المحراب وزخرفته فى أحد من جوامعها ، فإن مصر تفتخر أيضاً بوجود العديد من الزخارف الجصية على العديد من محاريب المنشآت الدينية والجنائزية خاصة فى العصر المملوكى البحرى ، وبصفة خاصة محراب مدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ / ١٣٠٢م بالنحاسين[٥٠].

وتكمن أهمية شكل العناصر الفنية والزخرفية فى محراب جامع مجاهد الدين قيماز بالموصل مع مثيلتها فى محاريب مدينة القاهرة ، فى وجود تشابه كبير فى هذه

---

(٤٧) ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى البلنسى ت ٦١٤هـ) ، رحلة ابن جبير المسماة تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ٢٣٥ .

(٤٨) حميد (عبد العزيز) ، الزخرفة فى الجص ، حضارة العراق ، ٤٠٣ .

(٤٩) -Al-Janab, Studies, p. 189.

(٥٠) عبد الرحيم (جمال) ، الزخارف الجصية فى عمائر القاهرة الدينية الباقية فى العصر المملوكى البحرى ، مخطوط رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٨ ، ٩ .

العناصر وفى دقة صنعها مع محاريب متعددة ، لا سيما محراب قبة الأمير أيدكين البندقدارى ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م بشارع السيوفية ، أما من حيث الحجم وأيضاً الزخرفة فهناك تشابه الى حد كبير مع محراب مدرسة الناصر محمد كما سبق القول . ويمكن القول بأن الزخارف الجصية بصفة عامة وزخرفة المحاريب بصفة خاصة فى كل من العراق ومصر قد تأثرت بزخارف شرق وغرب العالم الإسلامى فى فترةموضوع الدراسة ، نظراً لما تضمه من أوراق ثلاثية الفصوص ومن فصين وأنصاف مراوح نخيلية تخرج من أفرع ملتوية بأسلوب متناسق بالحفر البارز على النمط الأندلسى(٥١) . وأفرع نباتية أخرى متموجة مسننة بأسلوب ذات طابع مغولى صينى(٥٢) .

- ومن السمات المعمارية المتبادلة أيضاً شكل بعض قمم المآذن ، ففى العراق هناك قمة جامع الخفافين (لوحة ٦)والذى يرجع الى الفترة الأتابكية أيضاً (أواخر العصر العباسى) ويقع هذا الجامع على الشاطئ الشرقى لنهر دجلة فى بغداد ، وقامت ببنائه السيدة زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله قبل وفاتها فى سنة ٥٥٩هـ / ١٢٠٢م(٥٣) . وقد بنيت هذه المئذنة من الطوب الآجر وغطيت بطبقة ملاط من الجص ، وتبدأ من قاعدة مثمنة ، يليها بدن اسطوانى ينتهى بدروة مقامة على عدة صفوف من المقرنصات ، ثم بدن ثانى إسطوانى أقل من الأول فى الحجم والارتفاع ، يلى ذلك القمة والتى تأخذ شبه القبة الصغيرة (القبيبة)البصلية شكلاً له ذات قطاع مدبب والتى يطلق عليها أحياناً فى بلاد العراق بأسم الشمعة The Sham'a(٥٤). وقد زخرفت هذه القمة من الخارج بطبقة من البلاطات الخزفية باللونين الأبيض والأزرق . والجدير بالذكر أن تغطية قمم المآذن بالبلاطات الخزفية ظاهرة معمارية وزخرفية جاءت من بلاد المشرق الإسلامى خاصة إيران ، والجمهوريات المستقلة الآن عن الاتحاد السوفيتى(٥٥) . وفى مصر فقد ظهرت هذه السمة على قمة مئذنة

---

(٥١) -Hautecoeur (L.) et Wiet (G.), les Mosquees du Caire, Paris 1932, p. 293.

(٥٢) مايكل روجرز ، دلائل على وجود علاقات بين المغول والمماليك (أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس – ابريل ١٩٦٩) . جـ٢ ، ص ٨٨٥ .

(٥٣) سمى هذا الجامع بالخفافين نسبة إلى وجوده فى سوق مخصص لبيع الخفاف (الأحذية) ، ويسمى أيضاً بجامع الصاغة لقربه من سوق الصاغة المخصص لبيع المصوغات الذهبية ، وفى العصر العباسى كان يسمى بجامع الحظائر لقربه أيضاً لحظائر تجفيف التمر .

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ) ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٦ ، جـ٦ ، ص ١٨٢ .
- جواد (مصطفى) ، عمارات السادس الضخمة ، مجلة سومر العدد ٢ ، ١٩٤٦ جـ١ ، ص ٦٩ .

(٥٤) Al-Janab, Studies in Medieaeval Iraqi, p. 64.

(٥٥) Pope (A.U.), A Survey of Persian Art, Oxford 1938, Vol. IV, pls. 363a,b

خانقاة بيبرس الجاشنكير ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م بالجمالية ، وقمتى مئذنتى جامع الناصر محمد بن قلاوون ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م بالقلعة . أما عن ظاهرة وجود شكل القبة الصغيرة البصلية المسطحة وهى شكل قمة مئذنة جامع الخفافين دونما تضليعات ، فوجدت فى مصر فى قمة مئذنة المشهد البحرى قرب الشلال بأسوان والتى ترجع إلى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى[٥٦] ، وفى مئذنة مسجد أو مشهد الجيوشى ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م بالمقطم[٥٧] .

ومن السمات المتبادلة أيضاً قمة مئذنة جامع الشيخ معروف ٦١٢هـ / ١٢١٥م (لوحة ٧)[٥٨] ، والذى يقع بالقرب من مشهد زمرد خاتون ببغداد ، وقد قام بتجديد وترميم هذه المئذنة الخليفة الناصر لدين الله ، والذى تشهد به الكتابة الموجودة على المئذنة ، على الرغم من أن الجامع يرجع إلى عهد قديم عن مئذنته الحالية ، حيث كان يعرف بمسجد الجنائز أو مسجد باب الدير نسبة إلى مقبرة باب الدير التى يقع فيها المسجد ، وأنه بنى قبل عام ٣٠٥هـ / ٩١٧م[٥٩] . أما نسبته بالشيخ معروف فيرجع إلى هذا الموالى من موالى الإمام على بن موسى الرضا ، الذى عاصر الخليفة العباسى هارون الرشيد واشتهر بالزهد والورع وتوفى سنة ٢٠٠هـ / ٨١٦م[٦٠] .

وقد بنيت هذه المئذنة على غرار مئذنة جامع الخفافين السابقة ، فهى مبنية من الطوب الآجر ، لها قاعدة مثمنة يعلوها البدن الرئيسى وهو مستدير الشكل يقل حجماً كلما صعد به إلى أعلى ، يليه الدروة الرئيسية المستديرة ، والتى أقيمت على حطتين من المقرنصات ذات وحدات كبيرة الحجم بعقود منكسرة شغلت فيما بينها بمساحات معقودة مصمتة زخرف داخلها بزخارف نباتية دقيقة (أرابيسك) من الجص . يلى ذلك البدن الثانى الأصغر وهو مستدير أيضاً من الآجر ، يعلوه قمة المئذنة ، والتى تأخذ شبه القبة الصغيرة (القبيبة) المضلعة والتى يطلق عليها أحياناً شكل المبخرة . وأهم ما يلفت النظر فى زخارف هذه المئذنة تلك الزخارف الكتابية والتى من خلالها تم تأريخها حيث زخرف البدن الرئيسى بشريط من الكتابة النسخية نصه "بنيت هذه

---

(٥٦) شافعى ، العمارة العربية ، ص ٦٤٧ ، شكل ٣٩٨ .
(٥٧) عبد الرازق (أحمد) ، تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ٢٤٦ لوحة ٢٢ .
(٥٨) الآلوسى (محمود شكرى) ، تاريخ مساجد بغداد وآثارها ، بغداد ١٣٤٦هـ ، ص ١١٩ .
(٥٩) الخطيب البغدادى (أبو بكر أحمد بن على ت ٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام . القاهرة ١٩٣١ جـ٤ ، ص ٣٦ .
(٦٠) جواد (مصطفى) ، آثار بنى العباس فى العراق ، مجلة الهلال ، العدد (٤١) القاهرة ١٩٣٢ ، ص ٦١ .

المنارة سنة أثنى (هكذا) عشر وستماية" ويلاحظ الخطأ اللغوى فى كلمة (أثنى) وصحتها (أثنتى)[٦١] .

وقد تشابهت مئذنة الشيخ معروف هذه فى مادة البناء (الآجر) وبهذا الشكل المنتظم مع مئذنتى الطابية والمشهد البحرى بمدينة أسوان بصعيد مصر[٦٢] ، بينما تبادلت شكل قمة المئذنة المضلعة مع العديد من المآذن المملوكية خاصة فى العمائر الدينية والأعمال المعمارية التى ترجع إلى عصر دولة المماليك البحرية والتى نذكر منها على سبيل المثال قمة مئذنة جامع أحمد بن طولون من عمل السلطان لاجين ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م ، وقمة مئذنة خانقاة سنجر وسلار بشارع مارسينا ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ، وقمة مئذنتى جامع الحاكم بأمر الله بشارع المعز من أعمال الأمير بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ، وقمة مئذنة مدرسة وقبة الأمير سنقر السعدى ٧٢١هـ / ١٣٢١م بشارع السيوفية .

ومن السمات المتبادلة فى المآذن أيضاً من العهد الأتابكى بالعراق مئذنة جامع قمرية ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م (لوحة ٨) . وهى تعد من أروع وأجمل مآذن هذا العهد الباقية ، والتى ترجع إلى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م أيام الخليفة العباسى المستنصر بالله[٦٣] .

ويقع مسجد قمرية على الضفة الغربية لنهر دجلة فى بغداد ، وتذكر كثير من المصادر والمراجع الأثرية والتاريخية أن هذا المسجد من أهم مساجد هذا العهد ، إضافة إلى كونه موضعاً تدرس فيه العلوم الدينية والدنيوية ، وقد تعرض لكثير من الكوارث أهمها كارثة فيضان نهر دجلة ، فتم ترميمه وإصلاحه فى العصر العثمانى عدة مرات كان آخرها فى سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م على يد الوالى سعيد باشا[٦٤] .

والتكوين المعمارى لهذه المئذنة يشبه إلى حد كبير التكوين المعمارى من حيث الشكل والمضمون لمئذنة جامع الشيخ معروف السابقة ، حيث تبدأ بقاعدة مربعة يعلوها البدن الرئيسى الإسطوانى والمبنى من الطوب الآجر ، نجح المعمار فى تشكيل وحدات زخرفية من هذا الطوب على هيئة معينات منتظمة على طول ارتفاع هذا البدن ، ثم يلى ذلك دورة مستديرة أقيمت على حطة واحدة من المقرنصات وحداتها كبيرة الحجم ذات عقود منكسرة ، يلى ذلك الطابق الثانى وهو مستدير أيضاً ولكنه صغير وقليل الحجم بالنسبة للبدن الرئيسى ، يلى ذلك قمة المئذنة والتى تأخذ

(٦١) Al-Janab, Studies in Mediaeval Iraqi, p. 48.

(٦٢) شافعى (فريد) ، العمارة العربية ، ص ٥٧٣ شكلى ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(٦٣) Massignon (L.), Mission en Mésopotamie 1907-1908. (Mémoires de Institut Francais d'Archéologie Orientale, Vol. 31. Cairo 1912, p. 104.

(٦٤) الآلوسى ، تاريخ مساجد بغداد ، ص ١١٥ .

أيضاً هيئة القبة الصغيرة (قبيبة) المضلعة البصلية الشكل والتى تأخذ شكل المبخرة .

وكما سبق القول فقد تشابهت مآذن مصر والقاهرة مع نمط هذه المئذنة من حيث المضمون فى مئذنتى الطابية والمشهد البحرى بأسوان ، وفى الشكل ولا سيما القمة فى بعض قمم المآذن المملوكية البحرية ، إلا أن الجذور الأولى لانتشار هذا النوع من المآذن يرجع إلى بلاد المشرق الإسلامى فى إيران وآسيا الوسطى ، فهناك يوجد منارة خسروجارد بالقرب من سبازفار بإيران والمؤرخة بسنة ٥٠٥هـ / ١١١١م[٦٥]، فهى تشبه تماماً مئذنة قمرية فى شكل القاعدة والبدن الرئيسى المستدير ، وكذلك مئذنة ماردين بآسيا الوسطى والتى ترجع إلى سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م[٦٦] . وفى بلاد الأناضول بآسيا الصغرى وجدت شبيه لأشكال المعينات الموجودة بالبدن الرئيسى لهذه المئذنة ، وذلك فى منارتى ضريح كل من آتا بغتاى سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م ، وإرزن خاتون سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م[٦٧] .

ومن نماذج السمات المتبادلة بين العراق ومصر فى العناصر الزخرفية والمعمارية فى العهد الأتابكى تلك الوحدات الزخرفية للواجهات الداخلية فى المدرسة المستنصرية فى بغداد (لوحة ٩) . وتعد هذه المدرسة من أشهر العمائر الدينية التى بنيت فى الفترة العباسية المتأخرة ، وقد بناها الخليفة العباسى المستنصر بالله فى سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م واكتمل البناء فى ٦٣١هـ / ١٢٣٣م ، وهى تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة ببغداد[٦٨] . وتتكون المدرسة من مساحة مستطيلة ، يتوسطها صحن أوسط مكشوف تحيط به حجرات فوقها غرف صغيرة ، وإيوانين كبيرين أحدهما شمالى والآخر جنوبى بالإضافة إلى إيوان القبلة والذى يشرف على الصحن من خلال ثلاثة عقود ، كما أنها تضم أروقة وقاعات متعددة لتدريس المذاهب السنية الأربعة ، بالإضافة إلى تدريس الفقه والقرآن والحديث والطب ، وبها خزائن كبيرة للكتب ، ويقال بأن الخليفة المستنصر قد أنفق عليها أموالاً كثيرة ورتب لها الموظفين والطلاب والمعيدين والمدرسين ، وجعل لذلك شروطاً خاصة ، حتى أصبحت المدرسة المستنصرية أول جامعة إسلامية درست فيها العلوم المختلفة[٦٩] .

---

(٦٥) Pope, A Survey, Vol. IV, pl. 358b.

(٦٦) Hill (D.) and Graber (O.), Islamic Architectture and its decoration, London 1962, p. 68 pl. 404.

(٦٧) Hill and Graber, Islamic Architecture, pls. 364, 391-395.

(٦٨) الآلوسى ، تاريخ مساجد بغداد ، ص ٩٨ .

(٦٩) أمين (حسين) ، المدرسة المستنصرية ، بغداد ١٩٦٠م ، ص ٤٧ .
- معروف (ناجى) ، تاريخ علماء المستنصرية ، الجزء الأول ، بغداد ١٩٦٥م ، ص ٢٨ .

وتزخر هذه المدرسة بالعديد من الزخارف الإسلامية المتنوعة فى غاية الإبداع والإتقان سواء كانت هذه الزخارف منفذة بالجص أو الآجر . وأهم النماذج للوحدات الزخرفية تلك الموجودة على الواجهات الداخلية المطلة على الصحن ، والتى تضم زخارف هندسية لأطباق نجمية كاملة ، وأشكال نجمية سداسية وعناصر هندسية سداسية الأشكال ، منفذة بأسلوب هندسى متقن ومدروس ، بداخلها زخارف دقيقة (أرابيسك) وذلك داخل مساحات مستطيلة منتظمة أو معقودة وكلها مسمط على الجدار .

وقد تشابهت هذه العناصر الزخرفية ، وبنفس تكويناتها داخل وحدات مستطيلة مسمطة على الجدار فى بعض العمائر الدينية بالقاهرة مثل الشبابيك المستطيلة الموجودة على الواجهة الرئيسية لمدرسة الأمير قراسنقر المنصورى الجوكندار ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م بشارع الجمالية ، وفى بقايا الجامع القديم الذى بناه الأمير قوصون الناصر سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م بشارع القلعة . وتجدر الإشارة هنا إلى أن زخرفة الأطباق النجمية قد بلغت أوج تطورها فى مصر فى العصر المملوكى خاصة فى العصر المملوكى الجركسى ، وأن أول ظهور لوحدات الطبق النجمى قد ظهر على المحراب الخشبى المتنقل لمشهد السيدة رقية ٥٤٩ ، ٥٥٥هـ / ١١٥٤ ، ١١٦٠م والمحفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة[٧٠] . أما فى بلاد العراق فأقدم مثال على الأطباق النجمية كان فى باب الظفرية ببغداد والذى يرجع تاريخه إلى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجرى / الحادى عشر ، الثانى عشر الميلادى[٧١] .

- ومن السمات المعمارية والفنية المتبادلة والتى ترجع إلى العهد الأتابكى فى العراق مدخل من الرخام لمشهد الإمام باهر فى الموصل (لوحة ١٠) . ويعد هذا المشهد من أهم العمارات الدينية والمدنية التى أمر بعمارتها بدر الدين لؤلؤ فى مدينة الموصل سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م ، عاصمة مملكته[٧٢] .

ويعد هذا المدخل من أروع المداخل الرخامية التى ترتقى إلى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى والذى كان محفوظاً فى المتحف العراقى ببغداد قبل الغزو

(٧٠) عبد الرازق (أحمد) ، الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمى ، كلية الآداب جامعة عين شمس ٢٠٠١ ، ص ٩٧ .
(٧١) الأعظمى ، الزخارف الجدارية ، ص ١٣١ ، شكل ٦ .
(٧٢) – الديوه جى (سعيد) ، جوامع الموصل فى مختلف العصور ، بغداد ١٩٦٣ ، ص ١٨٨ .
- الجلبى (داود) ، بدر الدين لؤلؤ والآثار الإسلامية فى الموصل ، مجلة سومر ، جـ٢، ١٩٦٤م ، ص ١٢٣ .

الأمريكى البريطانى للعراق ، وقد تفنن الصانع فى عمله ، حيث يحف بهذا المدخل حفر بارز لثعبانين ملتفين على بعضهما ، ويتألف منهما نطاق من مستطيلات كل منهما على شكل محراب صغير بعقد ثلاثى مملوء بالمقرنصات الدقيقة تحف بالمدخل ويكون رأسا الثعبانين فى أعلى الباب . وقد شغلت الوحدات المستطيلة بزخارف بارزة وغائرة هندسية ، ونباتية دقيقة (أرابيسك) .

وسمة ملاحظة فى الوحدات الزخرفية لهذا الباب أن الفنان قد اتخذ من إلتفاف الثعبانين لكى يظهر هذه المحاريب الصغيرة التى تحف بالمدخل ، وأنه مزج بين الصور والزخارف ، واتخذ بين الصور وحدات هندسية داخلها قطع زخرفية فكان موفقاً غاية التوفيق فى عمله هذا[٧٣] .

وقد ورث الأتابكيون عن أسلافهم السلاجقة حب العمارة والفنون المزوقة بالصور مع الزخارف النباتية والهندسية ، ومن هنا جاء الاتقان الفنى الزخرفى والتصوير فى هذا المدخل ولا سيما صورة الثعبانين ، والتى ظهرت كثيراً على مداخل عمائر مدينة الموصل فى هذه الفترة ، ولعل الناس كانوا يتيمنون بحفر هذه الصور ، ويقولون إنها مشهورة بالحكمة . وأن أهل الموصل لايؤذون حية الدار ، ويتجنبون إزعاجها ، ويذكرون أنها صارت من أهل البيت ، فلا تؤذى أحداً ، ولا يؤذيها أحد[٧٤] . وعلى هذا وجدت نماذج معمارية بها صورة الحية أو حيتين ، منها ما هو موجود على ركنى مدخل تكية الشيخ عدى بن مسافر الأموى الهكارى فى جبل لالش فى قضاء عين سفنى ، وعلى باب الخان الذى شيده بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٣٠ – ٦٥٧هـ / ١٢٣٢ – ١٢٥٩م على الطريق المؤدى من الموصل إلى سنجار ثم إلى سوريا[٧٥] . وتؤكد المصادر والمراجع التاريخية أن هذه الزخرفة ما هى إلا تأثيرات ومعتقدات صينية تأثرت بها عمائر المشرق الإسلامى[٧٦] . وفى مصر فيوجد مثال فريد عليه زخرفة الثعبانين الملتفين ، وهو مدخل البيمارستان المؤيدى ٨٢١هـ / ١٤١٨م بسسكة الكومى من شارع المحجر بالقاهرة ، حيث توجد هذه الزخرفة داخل الشباك الصغير الذى يعلو باب دخول هذا البيمارستان ، وهذا يعنى أن التأثيرات الصينية جاءت أيضاً فى العمائر المملوكية بمصر ، وكذلك زين هذا الباب بنتوء بارز يشكل وحدات مستطيلة ومعقودة قريبة الشبه بتلك الموجودة على باب مشهد الإمام باهر ، كما يوجد فى القاهرة أيضاً نفس العناصر الزخرفية المكونة من

---

(٧٣) الديوه جى ، الزخارف الرخامية فى الموصل ، ص ٤٧٧ .

(٧٤) حميد ، الزخارف المعمارية ، ص ٤٢٤ .

(٧٥) سفر (فؤاد) ، واسط ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٣٣٧ .

(٧٦) Willetts (W.), Foundation of Chinese Art from Neolithic Pottery to Modern Architecture, London 1965, Figs. 28-30, pls. 102-104.

أشكال محاريب صغيرة بعقود ثلاثية بداخلها وحدات من المقرنصات الدقيقة وذلك فى قمة محراب السيدة نفيسة بالجامع الطولونى من عمل السلطان لاجين ٦٩٦هـ/١٢٩٦م ، وفى قمة محراب مدرسة زين الدين يوسف ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م بالقادرية .

- ومن السمات المعمارية المتبادلة فى العراق فى العهد الألخانى مئذنة الشيخ السهروردى (لوحة ١١) .

وهذه المئذنة ضمن مجموعة تضم قبة ومسجد مشهد الشيخ عمر السهروردى أحد العلماء المشهورين بالزهد والتصوف ، والتى شيدت بعد وفاة هذا الشيخ فى سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م ، ثم جددت فى العصر المغولى الألخانى تجديداً شاملاً على يد الوزير غياث الدين محمد بن الوزير فضل الله الخواجة رشيد الدين فى سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م، كما جددت المئذنة فى العهد العثمانى على يد الوالى نور الله بن الخواجة حسن سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م[٧٧] .

والمئذنة مبنية من الطوب الآجر ، تبدأ بقاعدة مربعة يرتكز عليها البدن الأول الرئيسى المستدير ، وهو يقل حجماً كلما صعد إلى أعلى ، يلى ذلك الدروة الرئيسية الوحيدة بالمئذنة وهى مستديرة الشكل تقام على ثلاث حطات من المقرنصات الدقيقة ، وحداتها ذات قطاعات مدببة منكسرة ، يلى ذلك البدن الثانى الأصغر وهو مستدير أيضاً ولكنه أقل فى الحجم والمساحة بالطبع عن البدن السابق ، يلى ذلك قمة المئذنة والتى تأخذ القبة الصغيرة (قبيبة) المضلعة هيئة لها . أى أنها شبيهة بقمم مآذن العراق السابقة العهد والتى ترجع إلى العهد العباسى الأتابكى ، مما يدل على استمرار هذه الأشكال فى العهد الألخانى . وقد زين البدن الأول الرئيسى والثانى الصغير بكتابات كوفية مربعة هندسية لنص متكرر يتضمن البسملة "بسم الله الرحمن الرحيم" والتوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وذلك بالبلاطات الخزفية الخضراء اللون ، كذلك كسيت القمة المضلعة بنفس نوع البلاطات الخزفية السابقة .

وعند دراسة الوحدات الزخرفية والمعمارية فى هذه المئذنة وما ظهر منها على عمائر القاهرة ، يلاحظ أن الدروة الرئيسية تقام على ثلاث حطات من المقرنصات الحجرية ، مثلما هو الحال فى العديد من دورات مآذن القاهرة المملوكية ، لكن

---

(٧٧) ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ت ٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، حققه وعلق حواشيه وصنع فهارسه محمد محى الدين عبد الحميد . القاهرة طبعة أولى ١٩٤٨م جـ٣ ص ١٢٠ .
- جواد (مصطفى) وسوسة (أحمد) ، دليل خارطة بغداد ، بغداد ١٩٥٨م ص ٢٣٦ .

الاختلاف هنا يكمن فى شكل الدروة نفسها ففى بغداد مستدير الشكل بينما فى القاهرة فمنها المربع ، ومنها المثمن فقط .

أما بالنسبة للقمة التى تأخذ الشكل المضلع فهى منتشرة فى العديد من مآذن القاهرة ، وقد سبق القول فيما سبق عند الحديث عن مئذنة جامع الشيخ معروف ومئذنة قمرية ، إلا أنه يوجد بالقاهرة نماذج من المآذن ذات القمم المضلعة كسيت من الخارج ببلاطات خزفية زرقاء مثلما هو الحال فى قمة مئذنة خانقاة بيبرس الجاشنكير ٧٠٦هـ/١٣٠٦م بالجمالية ، وقمم مآذن كسيت بالبلاطات الخزفية الخضراء مثل قمتى مئذنتى جامع الناصر محمد بن قلاوون ٧٣٥هـ/١٣٣٤م بالقلعة ، وقمة مئذنة خانقاة الأمير قوصون الباقية ٧٣٧هـ/١٣٣٦م بالقرافة الصغرى ، والذى يحتمل أن يكون طراز هذه القمم بكسواتها الخزفية قادم من بلاد إيران على غرار المئذنة التى شيدها خواجا على شاه وزير السلطان أبى سعيد فى جامعة بمدينة تبريز[٧٨] .

وعن ظاهرة زخرفة مئذنة الشيخ السهروردى بكتابات كوفية مربعة هندسية ، نجدها أيضاً على بعض العمائر المملوكية فى مدينة القاهرة مثال ذلك الكتابة الموجودة بمدخل مدرسة السلطان حسن ٧٥٧-٧٦٤هـ / ١٣٥٦-١٣٦٢م بميدان القلعة ، وكتابات قبتى التربة السلطانية بالقرافة الصغرى والمعروفة بأسم خانقاة خواندسمرا والدة السلطان حسن حوالى ٧٥٧ – ٧٦٢هـ / ١٣٥٦ – ١٣٦٠م ، وفى مدخل جامع السلطان المؤيد شيخ ٨٢٤هـ / ١٤٢٠م ، وفى مدخل مدرسة الأمير فيروز الساقى ٨٣٠هـ / ١٤٢٦م بحارة المنجلة ، وفى قبة الأمير يشبك من مهدى ٨٨٤هـ/١٤٧٩م بميدان حدائق القبة . كما أن شكل هذه الكتابات وجدت فى بلاد الأناضول فى قاعدة مئذنة مدرسة جفتة منار بسيواس ، وفى واجهة الباب الخشبى لمنبر جامع أشرف أوغلو ببايشهر بأسيا الصغرى ، وفى المدرسة الخاتونية ٧٨٤هـ/١٣٨٢م بكرمان بأسيا الصغرى أيضاً . ومن المعروف أن هذه الزخارف قد انتقلت من إيران والعراق وشرق العالم الإسلامى إلى مصر والشام وبلاد الأناضول منذ القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى عن طريق أصحاب الصناعات والحرف المختلفة ممن هاجروا من تلك البلاد إلى غرب العالم الإسلامى فى أعقاب الغزو المغولى[٧٩] . وأهم أمثلة هذه الزخارف فى شرق العالم الإسلامى توجد على بوابة وجدران مسجد نمازكاه فى بخارى والذى يرجع إلى القرن السادس الهجرى /

([٧٨]) عبد الوهاب (حسن) ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ١٤١ .

([٧٩]) عبد الحليم (سامى) ، الخط الكوفى الهندسى المربع حلية كتابية بمنشآت المماليك فى القاهرة ، الاسكندرية ١٩٩١ ص ١٠٠-١٠٢ .

- عبد الحليم (سامى) ، ضريح السلطانية بالقاهرة ونقوشه الكوفية الهندسية المربعة (مستخرج من مجلة كلية الآداب – جامعة الاسكندرية ١٩٩١-١٩٩٢م) صفحات ١١-١٦ .

الثانى عشر الميلادى ، وفى زخرفة البوابة الرئيسية لمسجد بى بى خانم والذى بنى فى الفترة من ٨٠٢ – ٨٠٧هـ / ١٣٩٩ – ١٤٠٤م فى مدينة سمرقند[٨٠] .

ومن السمات المتبادلة بين العراق ومصر أيضاً والتى ترجع إلى العهد الجلائرى فى العراق تلك العناصر المعمارية والزخرفية الموجودة فى المدرسة المرجانية (لوحة ١٢). وتقع هذه المدرسة فى الجزء الأوسط لشرق مدينة بغداد ، وتنسب إلى مشيدها أمين الدين مرجان مولى السلطان الجلائرى أويس خان بن الشيخ حسن الذى كان والياً على بغداد ونائباً عنه عندما كان يغيب عن بغداد وذلك فى سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧[٨١] . وتعد هذه المدرسة من أجمل وأكبر المنشآت المعمارية التى أنشئت فى العراق فى العهد الجلائرى ، حيث خصصها مرجان لتدريس المذهبين الحنفى والشافعى ، إضافة إلى العلوم الدينية والمدنية الأخرى[٨٢] .

وقد ظلت هذه المدرسة قائمة حتى سنة ١٩٤٥م حينما هدم معظمها لغرض توسيع شارع الرشيد الحالى ، ولم يبق منها إلا المدخل والمئذنة الملاصقة له ، وبنى بعد ذلك مسجد صغير بجوار مدخلها ووضعت على جدرانه الكتابات والزخارف التى كانت فى المصلى القديم للمدرسة . ومن حسن الحظ أنه كتب عنها وصف مفصل قبل الشروع بهدمها ، حيث قامت مديرية الآثار العراقية بوضع مخطط للمدرسة وصورت جميع أجزائه وزخارفه ، وقامت بعرض بعض هذه الزخارف بالمتحف العراقى ببغداد[٨٣] .

وأهم نماذج العناصر المعمارية والزخرفية المتبادلة فى هذه المدرسة ومثيلتها فى مصر ، تتمثل فى الحلية الزخرفية فى الأعمدة المندمجة لمدخل المدرسة ذات التضليع المائل للبدن ، وزخرفة المقرنصات للمصلى الخاصة بالمدرسة من الداخل ، وزخرفة الطبق النجمى بجدران المصلى السابقة من الداخل ، بالإضافة إلى التضليع الرأسى للقبة (التربة) من الخارج . فبالنسبة لوجود الأعمدة المندمجة بالواجهة الرئيسية للمدرسة وخاصة على جانبى المدخل (لوحة ١٣) ، فلقد حليت هذه الأعمدة بتضليع رأسى قليل الارتفاع بعد القاعدة ثم يسير هذا التضليع مائلاً إلى

---

(٨٠) بدون مؤلف Architecture Monuments of Middle Asia, Bokhara, Samarkand, Leningrad 1969, pp. 46-50.

(٨١) الآلوسى ، مساجد بغداد ص ٧١ .
- جواد وسوسة ، خارطة بغداد ص ٢١٩ .

(٨٢) المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسى المعروف بالبشارى) ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦م ، ص ٥٢ .

(٨٣) – النقشبندى (ناصر) ، المدرسة المرجانية ، مجلة سومر جـ١ ١٩٤٦ ، ص ٤٣ .
- Massignon, Mission en Mésopotamie, p. 34.

قمة العمود ، ولقد انتشرت هذه الظاهرة فى العديد من العمائر الدينية المملوكية بمدينة القاهرة ، إلا أن العمودين المندمجين بكل من مدخل مدرسة السلطان حسن ٧٥٧ – ٧٦٤هـ / ١٣٥٦ – ١٣٦٣م بميدان القلعة ، ومدخل جامع السلطان المؤيد شيخ ٨٢٤هـ/١٤١٢م بشارع المعز جنوباً ، يعدا من أفضل النماذج القريبة الشبه بتلك الموجودة فى المدرسة المرجانية .

أما زخرفة الطبق النجمى الموجودة بجدار مصلى المدرسة من الداخل (لوحة ١٤) ، فلقد نفذ بمادة الجص وبأسلوب متقن مبسط مزدوج الخطوط ، فالترس عبارة عن مربعين متقاطعين ، يخرج منهما ثمانى لوزات ، يليها أشكال الكندات السداسية الأضلاع ، ونجح الفنان فى ملء داخل هذه الوحدات بزخارف نباتية دقيقة ، ويلاحظ بأن تنفيذ هذا الطبق وبهذا الشكل ، يمثل على العمائر والفنون الإسلامية بمصر مرحلة تطور هذه الزخرفة خلال العصر الأيوبى ، وبداية العصر المملوكى البحرى ، وأقرب النماذج هى الموجودة على التركيبة الخشبية الخاصة بضريح الإمام الشافعى ٥٧٤هـ١١٧٨م والمحفوظ جزء منها بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وفى المنبر الخشبى بالجامع الطولونى من عمل السلطان لاجين ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م .

أما شكل التضليع الرأسى للقبة (التربة) المرجانية (لوحة ١٥)والذى يبدأ رأسياً من أعلى الرقبة ، ثم تعود القبة بعد ذلك إلى سطحها الأملس المستوى حتى قمتها ، فهذه الظاهرة - التضليع الرأسى - لم تظهر على القباب المصرية إلا فى مثال واحد وهو قبة تربة ومدرسة الأمير أيتمش البجاسى ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م بشارع باب الوزير ، إلا أننا نجد فى الأخيرة التضليع الرأسى يسير تضليع مائلاً حتى نهاية قمة القبة ، على عكس قبة المرجانية ، حيث يتحول التضليع المائل فى سطح القبة إلى شكل مستوى وأملس كما سبق القول .وهناك أيضاً بالمدرسة المرجانية ظاهرة معمارية لها سماتها ومتبادلة مع مثيلاتها فى مصر ، وهى المئذنة التى تأخذ قمتها شكل القبة الصغيرة المضلعة (المبخرة) وقد سبق الحديث عن هذه الظاهرة أثناء الدراسة التحليلية لمآذن جامع الشيخ معروف وجامع الخفافين وجامع قمرية .

ومما سبق يتضح أن غالبية السمات المعمارية والزخرفية المتبادلة بين العراق ومصر وخاصة الأتابكية والألخانية والجلائرية فى العراق ترجع أصولها الأولى إلى عمائر شرق العالم الإسلامى فى إيران وآسيا الوسطى ، وأن هذه السمات جاءت أولاً وتمركزت فى العراق ومنها انطلقت إلى الشام ومصر وبلاد الأناضول وذلك منذ القرن ٧هـ/١٣م ، وذلك عن طريق أصحاب الصناعات والحرف المختلفة الذين هاجروا فى أعقاب الغزو المغولى لهذه المناطق ، واستقروا فى العراق ومصر

والشام ، هذا من جهة ، ودور المراكز التجارية فى آسيا الوسطى فى طريق التجارة العالمى فى العصور الوسطى ولا سيما طريق الحرير من جهة أخرى ، حيث كان الكثير من التجار يعرفون فنون العمارة والزخرفة[٨٤] .

(٨٤) فامبرى (أرمينوس) ، تاريخ بخارى من أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة وتعليق أحمد محمود الساداتى ، مراجعة يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ١٨٣ .

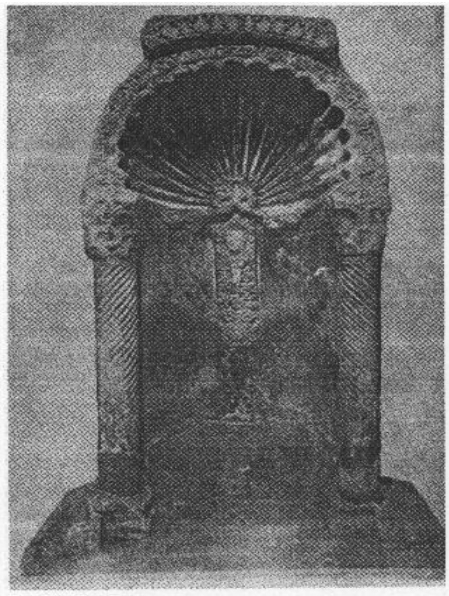

لوحة1) دخلة محراب جامع المنصور 149هـ / 767 م .

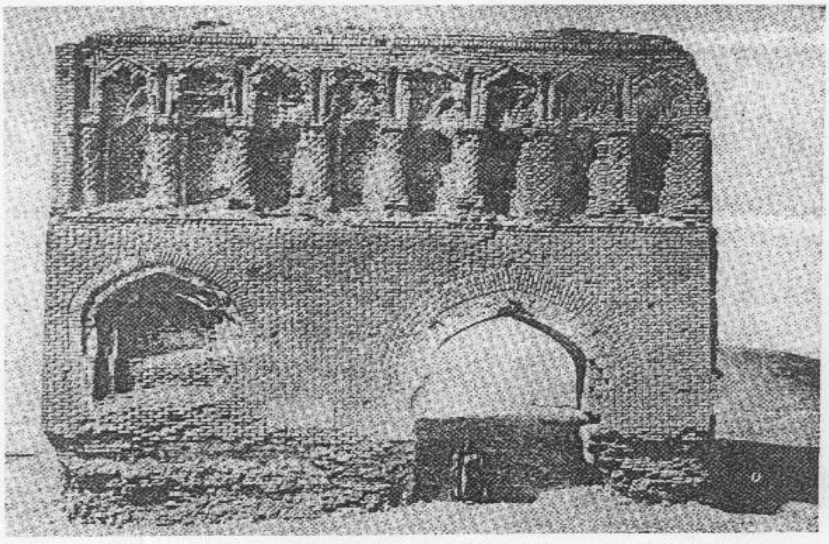

لوحة 2) واجهة باب بغداد 155هـ /772م .

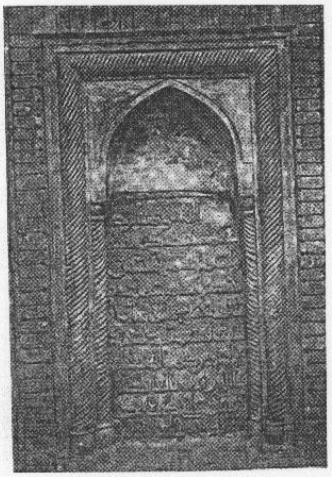

لوحة٣) محراب من الجص بمتحف بغداد ق ٣هـ/٩م.

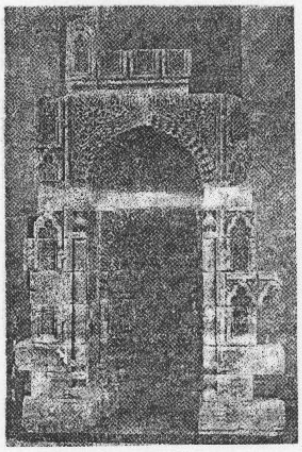

لوحة ٤) محراب الجامع النوري ٥٦٦هـ /١١٧٠ م .

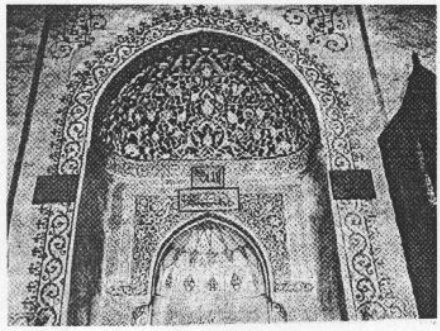

لوحة5) محراب جامع قيماز بالموصل 572هـ/1176م.

لوحة6) مئذنة جامع الخفافين 559هـ/1202م.

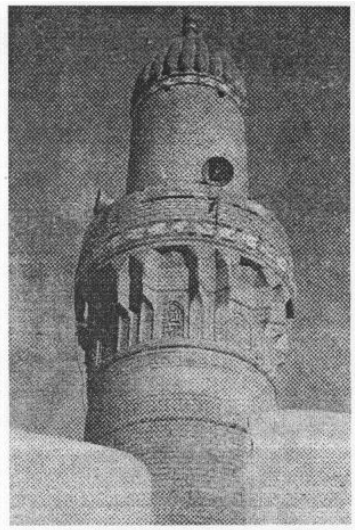

لوحة7) مئذنة جامع معروف 612هـ/1215م.

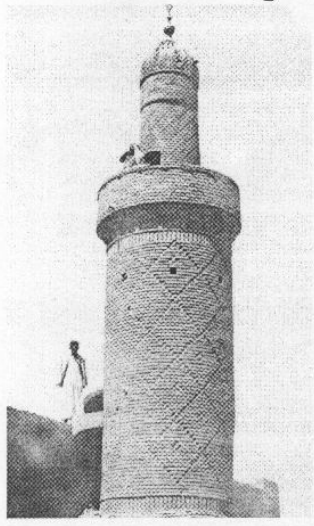

لوحة8) مئذنة جامع قمرية 626هـ/1228م.

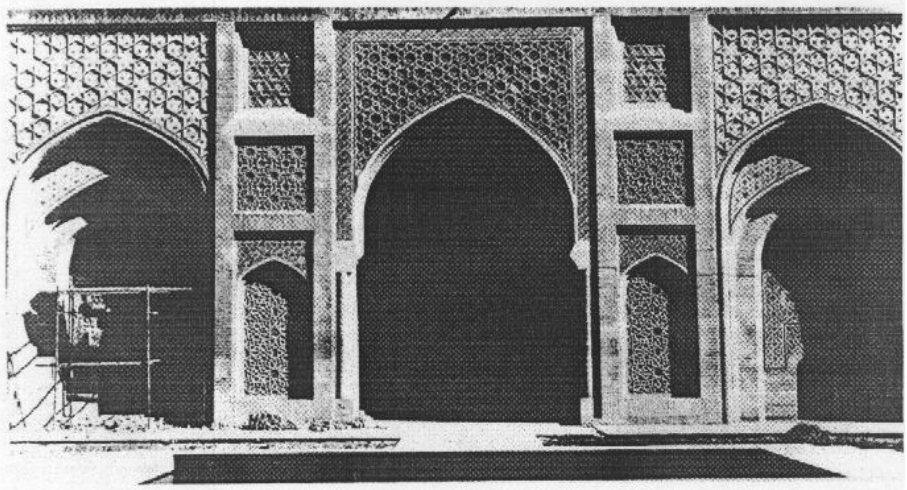

لوحة9) المدرسة المستنصرية من الداخل 631هـ /1233م .

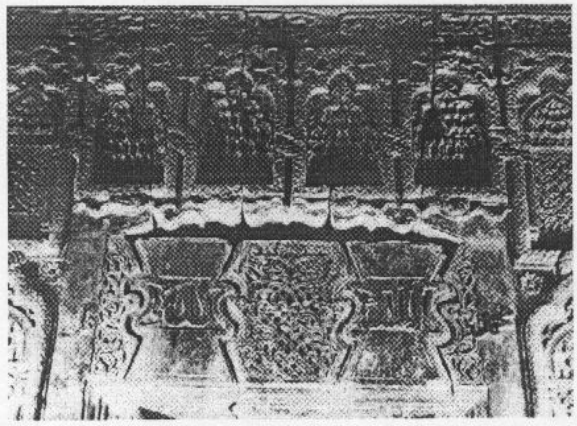

لوحة10) تفصيل لمدخل مشهد الامام باهر 699هـ/1299م.

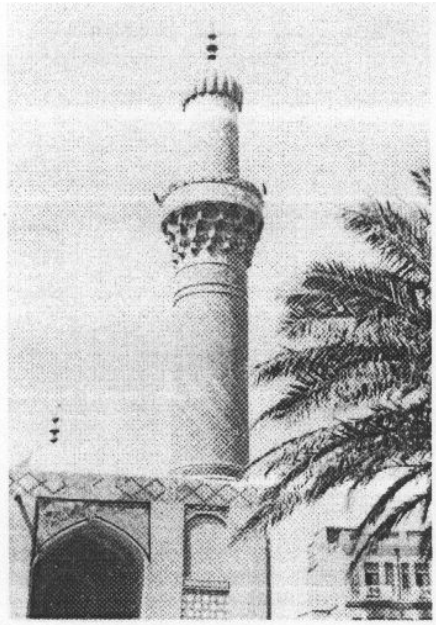

لوحة11) مئذنة جامع الشيخ السهروردي 735هـ /1334م.

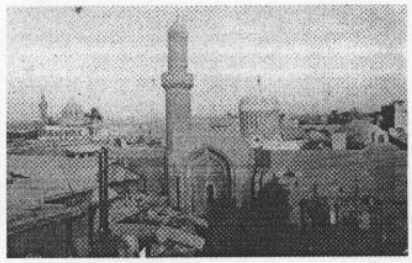

لوحة 12) المدرسة المرجانية 758هـ /1357 م .

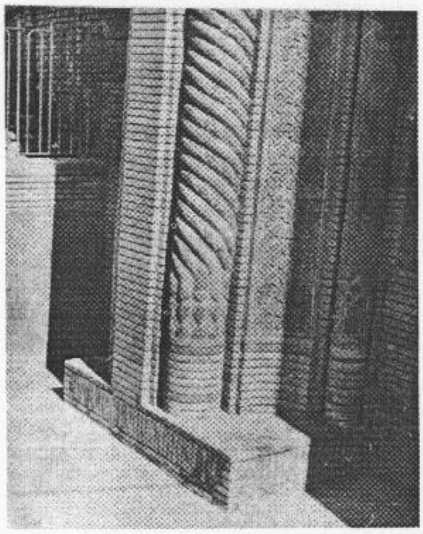

لوحة13) الاعمدة المندمجة بمدخل المدرسة المرجانية .

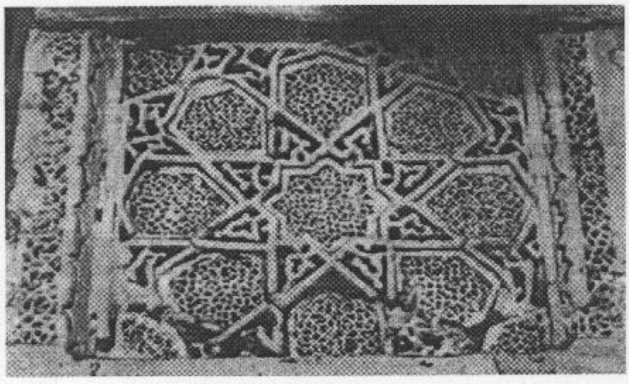

لوحة14) زخرفة الطبق النجمي بمصلى المدرسة المرجانية .

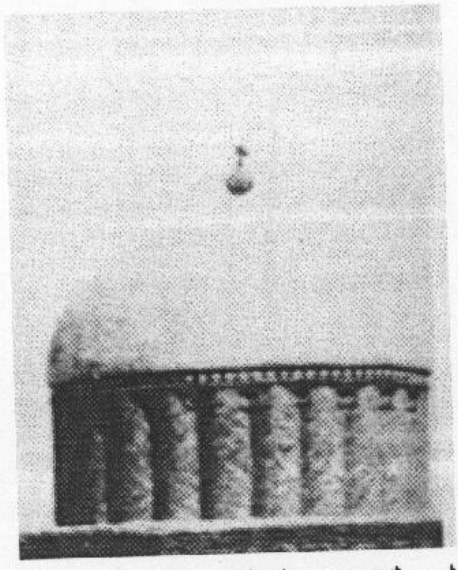

لوحة15) قبة المدرسة المرجانية .

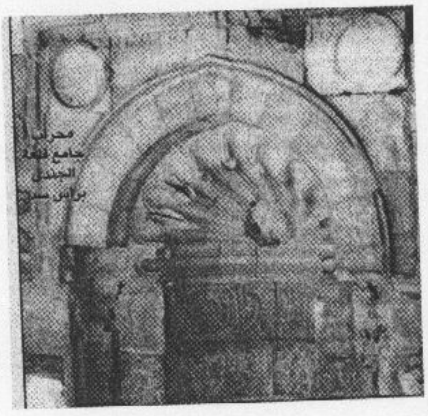

لوحة16) محراب جامع قلعة الجندي بسيناء .